فقه الأولويات في دعوة النبي ﷺ في القرآن الكريم

د. محمد عبد العزيز أحمد هيكل[١]

فإن الله عز وجل قد امتن على نبيه صلى الله عليه وسلم بتوجيهه لكل خير، وتسديده وهدايته لأقوم السبل، فقال عز وجل: ﴿وَأَنزَلَ اللّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً﴾[٢]، وأمره أن يدعوه مستزيداً: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾[٣]، وأرشده في غير ما آية من القرآن الكريم إلى النهج الأقوم، والسبيلَ الأمثل فيما يأتي ويذر، ولما تعجب الكفار من نزول القرآن منجمًا، ذكر الله عز وجل أن العلة من وراء ذلك أنه: ﴿كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾[٤]، والمواقف التي وجه الله عز وجل فيها نبيه ﷺ لا يمكن حصرها، علمه فيها كيفية الموازنة بين الأولويات، وأن يجعل كل شيء في مرتبته بالعدل والقسطاس المستقيم، فيقدم المصلحة الراجحة على المرجوحة، ويعمل على أن يدرأ المفسدة قبل أن يسعى لجلب المصلحة، ويوازن بين الشرور والمفاسد بعضها بعضًا؛ فيُرتكب أهونُ الشرين، ويتحمل أخفُّ الضررين، وهذه المسألة من

(١) أستاذ مساعد بكلية العلوم والآداب - جامعة الملك عبد العزيز.

(٢) النساء: من الآية ١١٣ .

(٣) طه: من الآية ١١٤ .

(٤) الفرقان: من الآية ٣٢ .

أهم مقاصد بعثته ﷺ - إن لم تكن أهمها بإطلاق - إذ إن البعثة ما قامت إلا لتحقيق مصالح العباد في الدارين.

وفقه الأولويات بين المصالح من أخطر المسائل التي يتعرض لها القائمون على الدعوة، من دعاة وعلماء وباحثين، وهم فيها بين طرفين ووسط؛ فبعضهم يتصور أن مبدأ الأولويات يبيح لهم إسقاط بعض التكاليف الشرعية؛ بحجة أن الأولى أن نفعل كذا وكذا، ويرى أن الاشتغال بالمسائل الجزئية، والأمور الفرعية، عن القضايا الكبرى التي تتعلق بكينونة الأمة وهويتها ومصيرها؛ جناية على المسلمين. والبعض الآخر يرى هذه الجزئيات والفروع هي الدين كله، ويريد أن يجر الأمة في معارك مفتعلة لا طائل وراءها، فهو يبحث ويتعمق في مسائل طال فيها الجدل، ولم تحسم منذ ظهرت، ولن تحسم طالما أن الشارع الحكيم - لحكمة ما - لم يقطع فيها بالدليل الحاسم. والوسطية والاعتدال أن يعطي كل أمر من أمور الدين قدره الذي قدره الشرع، إذ إن الأمر كله دين، فكل ما يتعلق بقضية الإسلام فهو دين ينبغي الاهتمام به، وألا يكون محل سخرية أو تهاون من أحد، لكن ينبغي أن يعطي كل ذي حق حقه، فيقدم ما حقه التقديم، ويؤخر ما حقه التأخير.

لذا أردت من خلال هذه السطور الوقوف على معالم هذا الفقه في القرآن وبخاصة من خلال دعوة النبي ﷺ لتكون نبراساً للدعاة إلى الله عز وجل.

والله أسأل أن يوفقنا لكل خير، إنه جواد كريم.

وقد جاء هذا البحث في أربعة مباحث وخاتمة، أما **المبحث الأول** فكان عن فقه الأولويات مع آل البيت، وقد احتوى على مطلبين:

المطلب الأول: تخيير - نسائه ﷺ.

المطلب الثاني: زواجه ﷺ بزينب.

المبحث الثاني: الأولويات مع المؤمنين، وقد جاء في ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الحجاب.

المطلب الثاني: سورة عبس.

المطلب الثالث: طرد المؤمنين تأليفًا للكافرين.

المبحث الثالث: الأولويات مع المشركين، وقد جاء في مطلبين:

المطلب الأول: أسرى بدر.

المطلب الثاني: صلح الحديبية.

المبحث الرابع: الأولويات مع المنافقين، وقد جاء في ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: المنافقون في غزوة تبوك.

المطلب الثاني: الاستغفار للمنافقين.

المطلب الثالث: المنافقون وحادث الإفك.

* * *